يوم الشَّيِّطيْن[1]

قال أبو عُبيدة: كان الشَّيِّطان لبكر بن وائل، فلمّا ظهر الإسلام في نجد سارت بكر قِبَلَ السواد، وبقي مُقَايس بن عمرو العائذيّ بن عائذة من قريش حليف بني شيبان بالشَّيِّطَيْن. فلمّا أقامت بكر في السواد لحِقهم الوباء والطاعون الذي كان أيّام كسرى شيرَوَيْه، فعادوا هاربين فنزلوا لَعْلَع[2]، وهي مُجْدِبة، وقد أخصب الشَّيِّطان، فسارت تميم فنزلوا بها.

وبلغت أخبار الشَّيِّطَيْن إلى بكر، فاجتمعوا وقالوا: نغير على تميم، فإن في دِين ابن عبد المطّلب، يعنون النبيّ، أنّ مَنْ قتل نفساً قُتل بها، فنغير هذه الغارة، ثمّ نُسْلم عليها، فارتحلوا من لَعْلَع بالذّراري والأموال، ورئيسهم بِشْر بن مسعود بن قيس بن خالد، فأتوا الشَّيِّطين في أربع ليال، والذي بينهما مسيرة ثماني ليالٍ، فسبقوا كلّ خبر، حتّى صبّحوهم وهم لا يشعرون، فقاتلوهم قتالاً شديداً وصبرت تميم ثمّ انهزمت، فقال رشيد بن رُمَيْض العنبريّ[3] يفخر بذلك:

وما كان بين الشَّيِّطين ولَعْلَعٍ ... لنسوتنا إلاّ مناقلُ[4] أربعُ
فحِئنا بجمعٍ لم يَرَ الناسُ مثلَهُ ... يكادُ له ظَهْرُ الوريعةِ يَظلعُ[5]
بأرْعَنَ دهْمٍ تَنسِلُ[6] البُلْقُ وَسْطَه ... له عارضٌ فيه المنيّةُ[7] تَلْمعُ[8]

---

(١) الشَّيِّطان: بالفتح ثم الكسر والتشديد، وآخره نون. وهو تثنية شيِّط. واديان في ديار بني تميم لبني دارم أحدهما طوَيلع أو قريب منه. (معجم البلدان ٣/٣٨٥).
وانظر عن اليوم في: العقد الفريد ٥/٢٠٦، ٢٠٧، نهاية الأرب ١٥/٣٩٣، معجم ما استعجم ٣/٨١٩ و ٤/١١٥٦.

(٢) لَعْلَع: بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده لام مفتوحة، وعين مهملة مثلها. من آخر السواد إلى البرّ، ما بين البصرة والكوفة. وقيل: ببطن فَلْج، وهي لبكر بن وائل. (معجم ما استعجم ٤/١١٥٦).

(٣) هكذا في العقد الفريد ٥/٢٠٧، وفي معجم ما استعجم «رُوَيْشد بن رُميض العَنَزي».

(٤) في النسخة (ي): «مثاقل». وفي العقد الفريد «مراجع»، وفي المعجم: «لنسائنا إلاّ مناقل».

(٥) في طبعة صادر ١/٦٥٤ «الوديعة يطلع». وما أثبتناه عن العقد الفريد. والوريعة: فرس.

(٦) في العقد الفريد «تُنْشَد».

(٧) في العقد «الأسنّة».

صَبحنا به سَعداً وعَمراً ومالكاً فظلّ[1] لهم يومٌ منَ الشرّ أشنعُ
وذا حَسَبٍ من آل ضَبّةَ غادروا بجَرْيٍ كما يجري الفصيلُ المفزَّعُ[2]
تقصّعٍ[3] يربوعٌ بسرّةِ أرضنا وليس ليربوع بها متقصَّعُ[4]

ثمّ إنّ النبيّ، ﷺ، كتب إلى بكر بن وائل على ما بأيديهم.

(الشَّيِّطان: بالشين المعجمة، والياء المشدّدة المثنّاة من تحتها، وبالطاء المهملة، آخره نون).

أيّام الأنصار، وهم الأوس والخزرج التي جرت بينهم

الأنصار لقب قبيلَتي الأوس والخزرج ابنَي حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مُزَيْقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس البَطْريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغَوْث بن نَبَت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ[5] بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان، لقّبهم به رسول الله، ﷺ، لمّا هاجر إليهم ومنعوه ونصروه.

وأمّ الأوس والخزرج قَيْلَة بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد، ولذلك يقال لهم أبناء قَيْلة.

وإنّما لُقّب ثعلبة العنقاء لطول عنقه.

ولُقّب عمرو مُزَيْقياء، لأنّه كان يمزّق عنه كلّ يوم حُلّة، لئلّا يلبسها أحد بعده.

ولُقّب عامر ماء السماء لسماحته وبذْله، كأنّه نابَ مَناب المطر، وقيل لشرفه.

ولُقّب امرؤ القيس البَطْريقَ، لأنّه أوّل مَنِ استعان به بنو إسرائيل من العرب[6] بعد بَلقيس، فَبَطْرَقهُ رُحْبُعَم بن سليمان بن داود، عليه السّلام، فقيل له البَطريق.

وكانت مساكن الأزد بمأرِب من اليمن، إلى أن أخبر الكُهّان عمرو بن عامر مزيقياء

(٨) هذا البيت والذي قبله من النسختين (ب) و(ي).

(١) في العقد «فكان».
(٢) في النسخة (ي): «المصرع».
(٣) في الطبعة الأوربية «تقضّع».
(٤) في الطبعة الأوربية «متقضع». وتقصّع المكان: لزمه.
(٥) أنظر عن النسب في الروض الأنف ١/٢١.
(٦) في النسخة (ر): «العدوّ».

أنّ سيل العَرِم يخرِّب بلادهم، ويغرق أكثر أهلها، عقوبةً لهم بتكذيبهم رُسُلَ الله تعالى إليهم. فلمّا علم ذلك عمرو باع ما له من مال وعقار، وسار عن مأرِب[1]، هو ومَنْ تبعه، ثمّ تفرّقوا في البلاد فسكن كلّ بطن ناحية اختاروها، فسكنت خُزاعة الحجاز، وسكنت غسّانُ الشام[2].

ولمّا سار ثعلبةُ بن عمرو بن عامر فيمن معه اجتازوا بالمدينة، وكانت تسمّى يَثْرب، فتخلّف بها الأوسُ والخزرجُ ابنا حارثة فيمن معهما[3]، وكان فيها قرىً وأسواق وبها قبائل من اليهود من بني إسرائيل وغيرهم، منهم قُرَيْظة، والنّضير، وبنو قَيْنقاع، وبنو ماسلة، وزعورا وغيرهم، وقد بنوا لهم حصوناً يجتمعون[4] بها إذا خافوا. فنزل عليهم الأوس والخزرج، فابتنوا المساكنَ والحصون، إلاّ أنّ الغلبة والحكم لليهود، إلى أن كان من الفِطْيون[5] ومالك بن العَجْلان ما نذكره إن شاء الله تعالى، فعادت الغَلَبة للأوس والخزرج، ولم يزالوا على حال اتّفاق واجتماع إلى أن حدث بينهم حرب سُمَيْر، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذِكْر غَلَبَة الأنصار على المدينة وضعف أمر اليهود بها وقتل الفِطْيون

قد ذكرنا أنّ الاستيلاء كان لليهود على المدينة لمّا نزلها الأنصار، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن ملك عليهم الفِطْيون اليهوديّ، وهو من بني إسرائيل ثمّ من بني ثعلبة، وكان رجل سوء فاجراً[6]، وكانت اليهود تدين له بأن لا تزوّج امرأة منهم إلاّ دخلتْ عليه قبل زوجها[7].

وقيل: إنّه كان يفعل ذلك بالأوس والخزرج أيضاً. ثمّ إنّ أختاً لمالك بن العَجْلان السالميّ الخزرجيّ تزوّجت، فلمّا كان زفافها[8] خرجت عن مجلس قومها، وفيه أخوها مالك، وقد كشفت عن ساقيها. فقال لها مالك: لقد جئتِ بسوء. قالت: الذي يُراد بي

---

(١) أنظر في ذلك: مروج الذهب ٢/١٨٩.
(٢) مروج الذهب ٢/١٩٠.
(٣) تاريخ اليعقوبي ١/٢٠٣.
(٤) في النسخة (ر): «يجيرون».
(٥) في النسختين (ب) و(ت): «القبطيون». ووردت بألفاظ مختلفة أخرى. أنظر: الاشتقاق لابن دريد ٢٥٩.
(٦) اليعقوبي ١/١٩٧.
(٧) معجم البلدان ٢/٢٤٢.
(٨) في النسخة (ت): «بنايها».

الليلة أشدّ من هذا، أدخُل على غير زوجي! ثمّ عادت فدخل عليها أخوها، فقال لها: هل عندكِ من خبر؟ قالت: نعم، فما عندك؟ قال: أدخلِ مع النساء، فإذا خرجن ودخل عليك قتلتُهُ. قالت: افعلْ. فلمّا ذهب بها النساء إلى الفِطْيون انطلق مالك معهنّ في زيّ امرأة، ومعه سيفه، فلمّا خرج النساء من عندها ودخل عليها[1] الفِطْيون قتله مالك وخرج هارباً[2]؛ فقال بعضهم في ذلك من أبيات:

هل كان للفِطْيون عُقْرُ نسائكم ... حكم النصيب فبئسَ حكم الحاكمِ
حتّى حباه مالك بمُرِشّةٍ[3] ... حمراء تضحك عن نجيعٍ قاتِمِ[4]

ثمّ خرج مالك بن العَجْلان هارباً حتّى دخل الشام، فدخل على ملك من ملوك غسّان يقال له أبو جُبَيْلة، واسمه عُبَيْد بن سالم بن مالك بن سالم، وهو أحد بني غَضْب بن جُشَم بن الخزرج، وكان قد ملكهم وشرف فيهم.

وقيل: إنّه لم يكن ملكاً، وإنّما كان عظيماً عند ملك غسّان، وهو الصحيح، لأنّ ملوك غسّانَ لم يُعرف فيهم هذا، وهو أيضاً من الخزرج على ما ذُكر.

فلمّا دخل عليه مالك شكا[5] إليه ما كان من الفِطْيون، وأخبره بقتله، وأنّه لا يقدر على الرجوع، فعاهد الله أبو جبيلة ألاّ يمسّ طيباً ولا يأتي النساءَ حتّى يُذلّ اليهودَ، ويكون الأوس والخزرج أعزّ أهلها.

ثمّ سار من الشام في جمعٍ كثير، وأظهر أنّه يريد اليمن، حتّى قدم المدينةَ، فنزل بذي حُرُض[6]، وأعلم الأوسَ والخزرج ما عزم عليه، ثمّ أرسل إلى وجوه اليهود يستدعيهم إليه، وأظهر لهم أنّه يريد الإحسان إليهم، فأتاه أشرافهم في حَشَمهم وخاصّتهم. فلمّا اجتمعوا ببابه أمر بهم، فأُدْخلوا رجلاً رجلاً وقتلهم عن آخرهم. فلمّا فعل بهم ذلك صارت الأوسُ والخزرج أعزّ أهل المدينة، فشاركوا اليهودَ في النخل والدور.

ومدح الرَّمْق بن زيد الخزرجيّ أبا جُبيلة بقصيدة، منها:

وأبو جُبَيْلة خيرُ مَنْ ... يَمْشي وأوفاهم يمينا

---

(١) في الطبعة الأوربية «عليهنّ».
(٢) اليعقوبي ١/٢٠٣، ٢٠٤، الاشتقاق ٢/٢٧٠.
(٣) في النسخة (ي): «بمزنية»، وفي النسخة (ب): «بمرسة».
(٤) في الأصل «قايم».
(٥) في النسخة (ي): «اشتكى».
(٦) حُرُض: بالضم، وثانيه يُضَمّ ويفتح. وادٍ بالمدينة عند أُحُد، له ذِكر.

وأبـرّهـم بِـرّاً وأعـ ـمَلُهُمْ بهَـدْي الصـالحينـا
أبـقـتْ لـنـا الأيّـامُ والـ ـحَـرْبُ المهمّـةُ تعتـرينـا
كَـبْـشـاً لـه قـرنٌ يـعـ ـضّ حُسـامُهُ الـذكـرَ السَّنينـا

فقال أبو جُبيلة: عسل طيّب في وعاء سوء، وكان الرمْق رجلاً ضئيلاً؛ فقال الرمق: إنّما المرء بأصغريه قلبه ولسانه. ورجع أبو جُبيلة إلى الشام.

(حُرُض: بضمّ الحاء والراء المهملَتيْن، وآخره ضاد معجمة).

حرب سُمَيْر[1]

ولم يزل الأنصار على حال اتّفاق واجتمـاع، وكان أوّل اختـلاف وقع بينهم وحـرب كانت لهم حرب سُمَيْر.

وكان سببها أنّ رجـلاً من بني ثعلبة من سعـد بن ذبيان يقـال له كعب بن [العَجْـلان نزل على مالك بن] العَجْلان السالميّ، فحالفـه وأقام معـه. فخرج كعب يـوماً إلى سـوق بني قينقاع، فرأى رجلاً من غطفـان معه فـرس وهو يقـول: ليأخـذ هذا الفـرسَ أعزُّ أهـل يثرب. [فقال رجل: فلان]. وقال رجل آخر: أُحيحة بن الجُلاح الأوسيّ. وقال غيرهما: فلان بن فلان اليهوديّ أفضل أهلها. فدفع الغطفانيّ الفرس إلى مالك بن العجلان. فقال كعب: ألم أقل لكم إنّ حليفي مالكاً أفضلكم؟ فغضب من ذلك رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له سُمَير، وشتمه وافترقا، وبقي كعب ما شاء الله.

ثمّ قصـد سوقـاً لهم بقُبا[2]، فقصـده سُمَيْر ولازمـه حتّى خلا السـوق فقتله. وأُخْبِـر مالك بن العجلان بقتله، فأرسـلَ إلى بني عمرو بن عـوف يطلب قـاتله، فأرسلوا: إنّـا لا ندري مَنْ قتله. وتردّدت الـرسلُ بينهم، هـو يطلب سُميـراً وهم يُنكرون قَتْله، ثمّ عـرضوا عليه الدِّيةَ فقبِلها. وكانت دِية الحليف فيهم نصف دِية النسيب منهم. فأبى مالك إلاّ أخـذ دِية كاملة، وامتنعوا من ذلك وقالوا: نُعْـطي دِية الحليـف، وهيَ النصـف. ولـجّ الأمرُ بينهم حتى آلَى إلى المحاربة، فاجتمعوا والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً وافترقوا. ودخـل فيها سـائر بطون الأنصار، ثمّ التقوا مرّة أخرى، واقتتلوا حتّى حجز بينهم الليـلُ، وكان الـظفر يـومئذ للأوس.

---

(١) المفضّليّات ١٣٥، الاشتقاق ٢٦٦، البـدء والتاريـخ ٣/ ١٣٠، الأعـلاق النفيسـة لابن رستـة ٦٤، الأغـاني ٣/ ١٨ وما بعدها.

(٢) قُبا: بالضم. أصله اسم بئر عُرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف بن الأنصار. وهي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة. (معجم البلدان ٤/ ٣٠١، ٣٠٢).

فلمّا افترقوا أرسلت الأوسُ إلى مالك يدعونه إلى أن يحكم بينهم[1] المنذر بن حَرام النجاريّ الخزرجيّ جدّ حسّان بن ثابت بن المنذر، فأجابهم إلى ذلك، فأتوا المنذر، فحكم بينهم المنذر بأن يَدُوا كعباً حليف مالك ديةَ الصريح، ثم يعودوا إلى سُنّتهم القديمة، فرضوا بذلك وحملوا الدِيةَ وافترقوا، وقد شبّت البغضاء في نفوسهم وتمكّنت العداوةُ بينهم.

ذكر حرب كعب بن عمرو المازنيّ

ثمّ إنّ بني جَحْجَبَا من الأوس، وبني مازن بن النجّار من الخزرج، وقع بينهم حرب، كان سببها أنّ كعب بن عمرو المازنيّ[2] تزوّج امرأةً من بني سالم، فكان يختلف إليها. فأمر أُحَيْحَةُ بن الجُلاح سيّدُ بني جَحْجَبَا جماعةً، فرصدوه حتّى ظفروا به فقتلوه، فبلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو، فأمر قومه فاستعدّوا للقتال، وأرسل إلى بني جَحْجَبَا يؤذِنهم بالحرب. فالتقوا بالرُّحَابة[3]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت بنو جَحْجَبَا ومَنْ معهم، وانهزم معهم أُحَيْحَة، فطلبه عاصم بن عمرو فأدركه وقد دخل حصنه، فرماه بسهم فوقع في باب الحصن، فقتل عاصم أخاً لأُحَيْحَة. فمكثوا بعد ذلك ليالي، فبلغ أحيحة أنّ عاصماً يتطلّبه ليجد له غِرّة فيقتله، فقال أُحَيْحة:

نُبِّئْتُ أنّك جِئْتَ تسـ … ـري بين داري والقُبَابَهْ
فلقد وجدتَ بجانب الـ … ـضَّحْيان شُبّاناً[4] مُهابَهْ
فتيانَ حربٍ في الحديـ … ـدِ وشامرين كأُسْدِ غابَهْ
هم نكّبوكَ[5] عن الطريـ … ـقِ فبِتَّ تركبُ كلّ لابَهْ
أعُصَيْمَ لا تجزَعْ فإ … نّ الحربَ ليست بالدُّعابَهْ
فأنا الذي صبَّحتكم … بالقومِ إذا دخلوا الرَّحَابَهْ
وقتلتُ كعباً قبلها … وغلوتُ بالسيف الذُّؤابَهْ

فأجابه عاصم:

أبلغْ أُحَيْحَة إن عرضـ … ـتَ بداره عنّي جوابَهْ

---

(١) في الأغاني ٣/٢٥ المحكم هو: ثابت بن المنذر. ويقال: بل الحاكم المنذر أبو ثابت. (٣/٢٦).

(٢) في النسخة (ت): «بن زنى»، وفي النسخة (ب): «بن يرثى»، وفي النسخة (ي): «بن بركى». والمثبت من النسخة (ر).

(٣) الرُّحابة: بضم أوله. أطمٌ بالمدينة. (معجم البلدان ٣/٣٢).

(٤) في النسخة (ر): «شيأً ذا».

(٥) في النسخة (ت): «نكبول»، وفي النسختين (ب) و(ي): «نكول».

• وأنا الذي أعجلتُهُ عن مقعدٍ ألهى كلابَهْ
ورميته سهماً فأخطأه وأغلق ثَمّ بابَهْ

في أبيات.

ثمّ إنّ أُحَيْحَة أجمع أن يبيِّت بني النّجّار، وعنده سلمى بنت عمرو بن زيد[1] النجّاريّة، وهي أمّ عبد المطّلب جدّ النبيّ، ﷺ، فما رضيتْ، فلمّا جنّها الليلُ وقد سهر معها أُحَيْحة فنام، فلمّا نام سارت إلى بني النجّار، فأعلمتهم ثمّ رجعت، فحذروا، وغدا أُحيحة بقومه مع الفجر، فلقِيهم بنو النجّار في السلاح، فكان بينهم شيء من قتال، وانحاز أُحَيْحَة، وبلغه أنّ سلمى أخبرتهم، فضربها حتّى كسر يدها، وأطلقها وقال أبياتاً، منها:

لَعَمْرُ أبيكَ ما يُغني مكاني مِن الحَلْفاء آكلةٌ[2] غَفولُ
تُؤوِّمُ[3] لا تُقَلِّصُ مشمعلاً مع الفتيان مضجعه ثقيلُ
تَنَزَّعُ[4] للجليلةِ حيثُ كانت كما يعتاد لِقْحَتَهُ الفصيلُ
وقد أعددتُ للحِدثان حصناً لَوَ أنّ المرء ينفعه العقولُ
جلاه القَيْنُ ثُمّتَ[5] لم تخُنْه مضاربُه ولاطتْهُ فُلولُ
فهل من كاهنٍ آوي إليه إذا ما حان من آلٍ نزولُ
يراهنني ويرهنني بنيه وأرهنه بَنيّ بما أقولُ
فما يدري الفقيرُ متى غِناه وما يدري الغنيّ متى يَعيلُ
وما تدري وإن أجمعتَ أمراً بأيِّ الأرض يُدركك المقيلُ
وما تدري وإن أنتجتَ سَقْباً[6] لغيرك أم يكون لك الفصيلُ
وما إن إخوةٌ كبروا وطابوا لباقية وأمّهُمُ هَبُولُ
سَتَثكَلُ أو يفارقها بنوها بموتٍ أو يَجيء لهم قَتُولُ

(١) في النسخة (ت): «يزيد».
(٢) في النسخة (ت): «ريجه».
(٣) في النسختين (ب) و(ي): «تروم».
(٤) في الأصل «ينوع».
(٥) في النسخة (ي): «شمّت».
(٦) في الأصل «سقيا».

ذِكْر الحرب بين بني عمرو بن عوف وبني الحارث
وهو يوم السَّرارة[1]

ثمّ إنّ بني عمرو بن عوف من الأوس وبني الحارث من الخزرج كـان بينهما حـرب شديدة.

وكان سببها أنّ رجلاً من بنيِ عمرو قتله رجلٍ من بني الحارث، فعدا بنو عمرو على القاتل فقتلوه غيلةً، فاستكشف أهلُه، فعلموا كيف قُتل، فتهيّأوا للقتـال، وأرسلوا إلى بني عمرو بن عوف يؤذِنونهم بالحرب، فالتقـوا بالسَّـرارة، وعلى الأوس حُضَيْر بن سِمـاك والد أَسَيْـد بن حُضَيْـر[2]، وعلى الخـزرج عبـد الله[3] بن سَلول أبـو الحُبـاب الـذي كـان رأس المنافقين. فاقتتلوا قتالاً شديـداً صبر بعضهم لبعض أربعـة أيّام، ثمّ انصـرفت الأوس إلى دُورها، ففخرت الخزرجُ بذلك.

وقال حسّان بن ثابت في ذلك:

فِـدىً لبني النجّـار أمّي وخـالـتي ... غـداةَ لقـومهم بـالمثقَّفـة السّمـرِ
وصِرْمٍ من الأحياء عمرو بن مالـك ... إذا ما دعوا كـانتْ لهم دعوة النصرِ
فـواللهِ لا أنسى حيـاتي بـلاءهـم ... غـداةَ رموا عَمـراً بقـاصمـة الظهرِ

وقال حسّان أيضاً:

لَعَمْرُ أبيك الخيـر بـالحقّ مـا نَبـا ... عليّ لساني في الخطوب ولا يـدي
لسـاني وسيفي صـارمـان كِـلاهمـا ... ويبلغ مـا لا يبلغ السيفُ مِـذْوَدي
فلا الجهدُ يُنْسيني حَيَـائي وعِفَّتي[4] ... ولا وقعـاتُ الـدهـر يَفْلُلْنَ مبردي
أكثّـر أهلي من عيـالٍ سـواهـمُ ... وأطـوي على الماء القَراحِ المُبَـرَّدِ

ومنها:

وإنّي لَمِنْجـاءُ المطيّ على الـوَجَى ... وإنّـي لَنـزّالٌ لـمـا لـم أُعَـوَّدِ
وإنّي لَقَـوّالٌ لـذي اللَّوْثِ[5] مـرحبـاً ... وأهـلاً إذا ما ريـع من كـلّ مَرصَـدِ

---

(١) الاشتقـاق ٢٧١، المفصّل في تـاريخ العـرب ٤/١٣٩، معجم ما استعجم ٣/٧٣١ وفيـه: السرارة: مـوضع قريب من المدينة بين الشرعبي ورابخ.
(٢) في النسخة (ت): «حصين».
(٣) في النسخة (ر) زيادة «بن أبيّ».
(٤) في الطبعة الأوربية: «حياتي وحفظتي»، وما أثبتناه عن ديوان حسّان.
(٥) في الأصل «الليث».

وإنّي لَيـدعـوني النـدى فـأجيبـه　　　وأضـرب بيض العـارض المتـوقـدِ
فـلا تَعْجَلْن يـا قيس واربعْ فـإنّمـا　　　قُـصـاراك أن تُلقـى بكـلّ مـهنّـدِ
حـسـام وأرمـاح بـأيـدي أعـزّةٍ　　　متى تَـرَهم يـا ابنَ الخَـطِيم تَلبَّـدِ
أسـود لَدَى الأشبـال يَحْمي عرينَهـا　　　مـداعيسُ بالخـطّيّ في كـلّ مشهـدِ

وهي أبيات كثيرة. فأجابه قيس بن الخَطيم:

تروح عن الحسناء أم أنتَ مُغتدي[1]　　　وكيف انـطلاقُ عـاشـقٍ لم يُـزوَّدِ
تَـراءت لنـا يـومَ الـرحيـل بمقلتيْ　　　شـريـدٍ[2] بمُلْتَفٍّ من السِّـدْر مُفـردِ
وجيـدٍ كجيـدِ الـرّيم حـالٍ يـزينـه　　　على النّحـر ياقـوتٌ وفصٌّ زَبَـرجَـدِ
كـأنّ الثـريّـا فـوقَ ثغـرة نحـرهـا　　　تَـوَقُّدُ في الـظَّلمـاء أيّ تـوقّـدِ
ألَا إنّ بـينَ الـشَّـرعَـبيِّ وراتـج[3]　　　ضِراباً كتجذيم[4] السيَّال المصعَّـدِ[5]
لنـا حائـطان المـوتُ أسفـل منهمـا　　　وجمـع متى تصرخْ بيَثْرِبَ[6] يصعدِ
تـري اللابـةَ السوداء يحمّـر لـونُهـا　　　ويسهـل منهـا كـلّ ربـعٍ وفَـدفَـدِ[7]
فـإنّي لأغْنَى النـاس عـن متكلِّفٍ　　　يـرى النـاسَ ضُـلّالاً وليس بمهتـدِ
لَسَـاء عمراً[8] ثَـوْراً شَقيّـاً مُـوَعَّـظاً[9]　　　ألَـدّ كـأنّ رأسـه رأسُ أصـيـدِ
كثيـر المنى بـالـزاد لا صَبْـرَ عنـده　　　إذا جـاع يومـاً يَشْتكيه ضُحَى الغـدِ
وذي شيمـةٍ عَسْـراء خـالف شيمتي　　　فقلتُ لـه دعْني ونفسَـك أرْشِـدِ
فمـا المـالُ والأخـلاقُ إلّا مُعـارة　　　فمـا استـطعتَ من مَعْروفها فَتَـزَوّدِ
متى مـا تَقُدْ بـالبـاطـل الحقَّ يَـأبَـهُ　　　فـإن قُـدتَ بـالحقّ الـرواسي تَنْقَـدِ
إذا مـا أتيتَ الأمـرَ من غيـر بـابِـهِ　　　ضللتَ وإن تـدخلْ من البـابِ تَهْتَدِ

وهي طويلة.

---

(١) في النسخة (ي): «تغتدي».

(٢) في النسختين (ر) و(ي): «فريد».

(٣) في معجم ما استعجم ٣/٧٣١ «رابخ».

(٤) في المعجم: «كتخذيم».

(٥) في المعجم: «المعضد». وفي الطبعة الأوربية:

ألا إنّ بـيـنَ الـسـرعَـيْـن ورائـج　　　ضـرابـاً بـالتحـديم السيـال المعضَّـدِ

والشرعبيّ وراتج: أُطْمان في المدينة.

والتجذيم: القطع. والسيّال: نبات له شوك أبيض طويل.

(٦) في النسخة (ت): «بثيرن»، وفي النسخة (ب): «تنزل».

(٧) في النسخة (ر): «فرقد».

(٨) في النسختين (ب) و(ي): «فيا عمروا».

(٩) الشطر غير موزون، وفيه تحريف.

وقال عُبَيْد[1] بن ناقد[2]:

لمن الديار كأنّهن المذهبُ ... بَلِيَتْ وغيّرها الدهورَ تقلُّبُ

يقول فيها في ذِكْر الوقعة:

لَكِن فِرارُ[3] أبي الحُباب بنفسه ... يومَ السَّرارة سِيء منه الأقربُ
ولّى وألقى يومَ ذلك دِرعَه ... إذ قيل جاء الموتُ خلفك يَطْلبُ
نجّاك منّا بعدما قد أُشرِعَتْ ... فيك الرماحُ هناك شُدّ المَذْهبُ

وهي طويلة أيضاً.

وأبو الحُباب: هو عبد الله بن سَلول.

حرب الحُصَيْن بن الأسلت

ثمّ كانت حرب بين بني وائل بن زيد الأوسيّين، وبين بني مازن بن النجّار الخزرجيّين.

وكان سببها أنّ الحُصَيْن بن الأسْلت الأوسيّ الوائليّ نازع رجلاً من بني مازن، فقتله الوائليّ، ثمّ انصرف إلى أهله، فتبِعه نفر من بني مازن فقتلوه. فبلغ ذلك أخاه أبا قيس بن الأسلت، فجمع قومَه وأرسل إلى بني مازن يُعْلمهم أنّه على حربهم. فتهيّأوا للقتال، ولم يتخلّف من الأوس والخزرج أحد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى كثرت القتلى في الفريقَيْن جميعاً، وقتل أبو قيس بن الأسلت الذين قتلوا أخاه، ثمّ انهزمت الأوسُ، فلام وَحْوَحُ بن الأسلت أخاه أبا قيس وقال: لا يزال مُنْهزمٌ من الخزرج، فقال أبو قيس لأخيه، ويُكنى أبا حُصَين:

أبلغْ أبا حِصْنٍ[4] وبَعْـ ... ـضُ القول عندي ذو كُبارَهْ
أنّ ابن أمّ المرء ليـ ... ـس مِن الحديد ولا الحجارَهْ
ماذا عليكم أن يكو ... نَ لكم بها رَحْلاً عُمارَهْ
يحمي ذِمَارَكُمُ وبَعْـ ... ـضُ القوم لا يحمي ذمارَهْ
يبني لكم خيراً وبُنيا ... نُ الكريمِ له آثارَهْ

في أبيات.

---

(١) في النسخة (ر): «عمرو».
(٢) في النسخة (ي): «زرارة».
(٣) في النسخة (ي): «قرار».
(٤) في الأصل «حصين».

حرب ربيع الظَّفَريّ

ثمّ كانت حرب بين بني ظَفَر، من الأوس، وبين بني مالك بن النجّار، من الخزرج.

وكان سببها أنّ ربيعاً الظَّفَريّ كان يمرّ في مال لرجلٍ من بني النجّار (إلى ملك له، فمنعه النجاريّ، فتنازعا، فقتله ربيع، فجمع قومهما فاقتتلوا قتالاً شديداً، كان أشدّ قتال بينهم، فانهزمت بنو مالك بن النجّار)[1]؛ فقال قيس بن الخَطيم الأوسيّ[2] في ذلك:

أجدّ بعَمْرَةَ غُنيانها ... فتهجُرَ أمْ شأنُنا شأنُها
فإنْ تُمْسِ شطّت بها دارُها ... وباح لكَ اليومَ هجرانُها
فما روضةٌ من رياض القَطا ... كأنّ المصابيحَ حَوْذانُها
بأحسنَ منها ولا نزهة ... ولوجٍ تكشّف أدجانُها
وعَمْرَةُ من سَرَوات النسا ... ينفحُ بالمسكِ أردانُها

منها:

ونحن الفوارسُ يومَ الربيـ ... ـعِ قد عُلِموا كيفَ أبدانُها[3]
جُنُونا لحربٍ[4] وراء الصريـ ... ـخ حتّى تقصّدَ مُرّانُها
تراهنّ يخلجن خَلْجَ الدِّلا ... يبادر بالنّزع أشطانُها

وهي طويلة.

فأجابه حسّان بن ثابت الخزرجيّ بقصيدة أوّلها:

لقد هاج نفسَك أشجانُها ... وغادرها[5] اليومَ أديانُها

ومنها:

ويثربُ تعلمُ أنّا بها ... إذا التبس الحقُّ ميزانُها
ويثربُ تعلمُ أنّا بها ... إذا أقحط القَطرُ نُوآنُها

---

(١) ما بين القوسين ساقط من النسختين (ب) و(ي).

(٢) هو: قيس بن الخطيم بن عديّ بن عمرو بن سُود بن ظَفَر، يكنى أبا قيس. (الأغاني ٣/١) وانظر ديوانه بتحقيق د. ناصر الدين الأسد. وفيه الأبيات.

(٣) في الأغاني ٣/١٢ «فرسانها».

(٤) في النسخة (ر): «حرنا الحراب».

(٥) في النسخة (ر): «وعاودها». وكذلك هي في ا لأغاني ٣/١٢.

ويثرب تعلم إذا حاربتْ بأنّا لدى الحرب فُرسانُها
ويثرب تعلم أنّ النَّبيـ ـتَ[1] عند الهزاهز ذُلاّنُها

ومنها:

متى ترنا الأوسُ في بيضنا نهزّ القنا تَخْبُ نيرانُها
وتُعْطِ القيادَ[2] على رَغْمِهَا وتُنْزَلُ مِلْهَام عِقبانُها[3]
فلا تفخرنْ التمسْ ملجأً[4] فقد عَاوَدَ الأوسَ أديانُها

حرب فارع بسبب الغلام القُضاعي

ومن أيّامهم يوم فارع[5]. وسببه أنّ رجلاً من بني النجّار أصاب غلاماً من قُضاعة ثمّ من بَليّ، وكان عمّ الغلام جاراً لمُعاذ بن النعمان بن امرىء القيس الأوسيّ والد سعد بن مُعاذ، فأتى الغلامُ عمَّه يزوره فقتله النجّاريّ. فأرسل مُعاذ إلى بني النجّار: أن ادفعوا إليّ دية جاري، أو ابعثوا إليّ بقاتله أرى فيه رأيي. فأبوا أن يفعلوا. فقال رجل من بني عبد الأشهل: والله إن لم تفعلوا لا نقتل به إلاّ عامرَ بن الإطنابة، وعامر من أشراف الخزرج؛ فبلغ ذلك عامراً فقال:

ألا مَنْ مُبْلِغُ الأكفاء عنّي وقد تُهدى النصيحةُ للنصيحِ
فإنّكمُ وما تَرْجون شطري من القول المُزَجّى[6] والصريحِ
سيندمُ بعضُكم عَجلاً عليه وما أثر اللسان إلى الجروحِ
أبَتْ لي عزّتي وأبى بلائي وأخذي الحمدَ بالثمن الربيحِ
وإعْطائي على المكروه مالي وَضَرْبي هامةَ البَطَل المُشيحِ
وقولي كلّما جَشَأتْ وجاشتْ: مكانَكِ تُحمدي أو تستريحي
لأدفَعَ عن مآثر صالحاتٍ وأحميَ بَعدُ عن عرضٍ صحيحِ
بذي شُطَبٍ كَلَوْن الملحِ صافٍ ونفسٍ لا تَقرُّ على القبيحِ

فقال الربيع بن أبي الحُقَيْق اليهوديّ في عِراض قول عامر بن الإطنابة:

---

(١) في الطبعة الأوربية «المبيت». والنبيت هو: عمرو بن مالك بن الأوس.
(٢) في الطبعة الأوربية «المقاد».
(٣) في الطبعة الأوربية «عصيانها».
(٤) في النسختين (ب) و(ي): «مفجاء».
(٥) فارع: اسم أُطُم وهو حصن بالمدينة.
(٦) في النسخة (ر): «المرعي».

ألا مَـنْ مُبـلِغُ الأكفـاء عـنّـي — فـلا ظـلـمٌ لـديّ ولا افـتـراء
فـلستُ بـغـائظِ الأكفـاء ظـلمـاً — وعـنـدي لـلمـلامـات اجْـتـزَاء
فلم أر مثـلٍ مـن يـدنـو لِخَسْفٍ — لـه فـي الأرض سيـر وَاسْتِـوَاء[1]
ومـا بـعضُ الإقـامـة في ديـار — يُهـان بهـا الفتـى إلّا عَـنَـاء[2]
وبعضُ القـول ليس لـه عِنـاجٌ[3] — كَمَحْضِ[4] المـاء ليس لـه إنـاء
وبـعضُ خـلائـق الأقـوام داءٌ — كـداء الـشُّـحّ لـيس لـه دواء
وبـعضُ الـداء ملتـمسٌ شفـاءً — وداء الـنُّـوكِ لـيس لـه شـفـاء
يـحبّ الـمـرء أن يلقـى نعـيمـاً — ويـأبـى الله إلّا مـا يـشـاء
ومَنْ يـكُ عـاقـلاً لم يـلقَ بؤسـاً — يُنِـخْ يـومـاً بسـاحتـه القَـضـاء
تَـعَـاوَرُهُ بنـاتُ الـدهـر حـتّـى — تُـثـلّمـه كـمـا ثُـلم الإنـاء
وكـلُّ شـدائـدٍ نـزلـتْ بحـيٍّ — سيـأتي بعـد شـدّتهـا رَخـاء
فقـلْ للمتّقي عَـرْضَ المنـايـا: — تـوقّ فـليس ينـفـعُـكَ اتّـقـاء
فمـا يُعْطَى الحـريصُ غِنىً بحرصٍ — وقـد ينمي لـدى الجـودِ الثـراء
وليس بنـافـعٍ ذا البُخْـلِ مـالٌ — ولا مُـزْرٍ بـصـاحـبـه الـحِـبـاء
غـنيُّ الـنفس مـا استغنى بشيء — وفقـرُ النفس مـا عمـرتْ شقـاء
يَـوَدّ المـرءُ مـا تَفِـدُ الليـالي — كـأنّ فَـنـاءهـنّ لـه فـنـاء

فلمّـا رأى مُعاذ بن النعمـان امتناع بني النجّـار من الديـة أو تسليم القاتـل إليه تهيّـأ للحرب وتجهّز هـو وقومـه واقتتلوا عند فـارع، وهو أُطم حسّـان بن ثـابت، واشتـدّ القتـالُ بينهم، ولم تزل الحرب بينهم حتّى حمل دِيته عـامر بن الإطنـابة. فلمّـا فعل صَلَحَ الـذي كان بينهم، وعادوا إلى أحسن ما كانوا عليه، فقال عامر بن الإطنابة في ذلك:

صـرمتْ ظليمـةُ خُلّتي ومـراسلي — وتبـاعـدتْ ضنّـاً بزاد الـراحـلِ
جهـلاً ومـا تـدري ظلمـةُ أنّني — قـد أستقـلّ بصـرم غيـر الـواصِـلِ
ذُلُـلٌ ركـابي حيث شئْتُ مُشَيّعي[5] — أنّي أروعُ قـطا المكـان الغـافـلِ[6]

(١) في النسخة (ت) «ايتواء»، وفي النسخة (ي): «أشواء».
(٢) في النسخة (ي): «غباء».
(٣) في الطبعة الأوربية «علاج». والعناج: حبل يُشدّ في أسفل الدلْو العظيمة. وقول: لا عناج لـه: أُرسل بلا رويّة.
(٤) في الطبعة الأوربية «كمحْص».
(٥) في الأصل «مسيعتي».
(٦) في النسخة (ب) العاقل.

أظليمَ ما يُدْريك رُبّةَ خلّةٍ ... حسنٌ ترغُمُها[١] كظَبْي الحائلِ
قد بِتّ مالكَها وشاربَ قهوةٍ ... دِرياقةٍ روّيتُ منها وَاغِلي
بيضاء صافيةٌ يُرى مِن دونها ... قعرُ الإناء يُضيء وجهَ الناهلِ
وسرابَ هاجرةٍ قطعتُ إذا جرى ... فوق الإكام بذات لونٍ باذلِ
أُجُدُ مراحلُها[٢] كأنّ عِفاءها ... سِقْطان من كتفَيْ ظليمٍ جافلِ[٣]
فَلْنَأكُلَنّ بناجزٍ من مالنا ... وَلْنَشْربنّ بدَيْنِ عامٍ قابلِ
إنّي من القوم الذين إذا انْتَدَوْا[٤] ... بدأوا بِبِرّ[٥] الله ثمّ النائلِ
المانعينَ مِن الخنا جيرانَهم ... والحاشدين على طَعامِ النازلِ
والخالطينَ غنيّهم بفقيرهم ... والباذلينَ عَطاءهم للسائلِ
والضاربين الكبش يبرُقُ بَيْضُهُ ... ضربَ المهنّدِ عن حِياض الناهلِ
والعاطفينَ على المصاف خيولَهم ... والمُلْحِقينَ رماحَهم بالقاتلِ
والمدركينَ عَدوّهم بذُحُولهم ... والنازلينَ لضربِ كلّ مُنازلِ
والقائلين معاً خُذوا أقرانَكم ... إنّ المنيّةَ من وراء الوائلِ
خُزْرٍ[٦] عيونُهُمُ إلى أعدائهم ... يمشون مشيَ الأُسْدِ تحتَ الوابلِ
ليسوا بأنكاسٍ ولا مِيلٍ إذا ... ما الحربُ شُبّت أشعلوا بالشاعلِ
لا يطبعون وهم على أحسابهم ... يَشْفون بالأحْلام داء الجاهلِ
والقائلين فلا يعابُ خطيبُهم ... يوم المَقالةِ بالكَلامِ الفاصلِ

وإنّما أثبتنا هذه الأبيات وليس فيها ذكر الوقعة لجودتها وحسنها.

حرب حاطب

ثمّ كانت الوقعة المعروفة بحاطب. وهو حاطب بن قيس من بني أميّة بن زيد بن مالك بن عوف الأوسيّ، وبينها وبين حرب سُمَيْر نحو مائة سنة. وكان بينهما أيّام ذكرنا المشهور منها وتركنا ما ليس بمشهور. وحرب حاطب آخرُ وقعة كانت بينهم، إلّا يوم بُعاث[٧] حتّى جاء الله بالإسلام.

---

(١) في الطبعة الأوربية «مرغّمها». والترغّم: التغضّب.
(٢) في النسخة (ر): «مداخله».
(٣) في النسخة (ب): «جايل».
(٤) في الأصل «احتدوا».
(٥) في النسخة (ي): «بدين».
(٦) في النسخة (ي): «حذوا».
(٧) سيأتي بعد قليل.

وكـان سبب هذه الحـرب أنّ حاطبـاً كان رجـلاً شريفـاً سيّداً، فـأتـاه رجـل من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبْيان فنزل عليه، ثمّ إنّه غدا يومـاً إلى سوق بني قَيْنقـاع، فرآه يـزيد بن الحارث المعروف بابن فُسْحُم[1]، وهي أمّه، وهو من بني الحارث بن الخزرج. فقال يزيد لرجل يهوديّ: لك ردائي إن كسعتَ هـذا الثعلبيّ. فأخـذ رداءه وكسعه كسعـةً سمعها مَنْ بالسوق. فنادى الثعلبيّ: يا آل حاطب كُسع ضيفُك وفُضح! وأُخْبر حاطب بـذلك، فجـاء إليه فسأله مَنْ كسعه، فأشار إلى اليهوديّ، فضربه حاطب بالسيف فلق هامتـه، فأُخبـر ابن فُسْحُم الخبر، وقيل لـه: قُتِل اليهـوديّ، قتله حاطب، فـأسرع خلف حـاطب فأدركـه وقد دخل بيوت أهله، فلقي رجلاً من بني معاوية فقتله. فثارت الحربُ بين الأوس والخزرج، واحتشدوا واجتمعوا والتقوا على جسر ردْم بني الحـارث بن الخزرج. وكـان على الخزرج يومئذ عمـرو بن النعمان البيـاضيّ، وعلى الأوس حُضَيْر[2] بن سِمـاك الأشهليّ. وقد كـان ذهب ذكـر مـا وقـع بينهم من الحـروب فيمن حـولهم من العـرب، فسـار إليهم عُيَيْنَـة بن حصن[3] بن حُذَيْفة بن بدر الفزاريّ، وخيـار بن مالـك بن حماد الفـزاريّ، فقدِمـا المدينـةَ وتحدّثا مـع الأوس والخزرج في الصلح، وضمِنـا أن يتحمّلا كـلّ ما يـدّعي بعضُهم على بعض، فـأبوا، ووقعت الحـربُ عند الجسـر، وشهدهـا عُيَيْنَة وخيـار. فشاهـدا من قتالهم وشدّتها ما أيِسا معه من الإصلاح بينهم، فكان الظفر يومئذ للخزرج. وهذا اليوم من أشهر أيّامهم، وكان بعده عدّة وقائع كلّها من حرب حاطب، فمنها:

يوم الربيع

ثمّ التقت الأنصار بعد يوم الجسر بالربيـع، وهو حـائط في ناحيـة السَّفْح، فـاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى كاد يُفْني بعضُهم بعضـاً، فانهـزمت الأوس، وتبِعها الخـزرج حتّى بلغوا دُروهم، وكانوا قبل ذلك إذا انهزمت إحدى الـطائفَتَيْن فدخلت دُورَهم كفّت الأخـرى عن اتّباعهم. فلمّا تبع الخزرجُ الأوسَ إلى دُورهم طلبت الأوسُ الصلح، فامتنعت بنو النجّـار من الخزرج عن إجابتهم. فحصّنت الأوسُ النساء والذراري في الآطام، وهي الحصون، ثم كفّت عنهم الخزرج؛ فقال صخر بن سلمان البياضيّ:

ألا أبلغـا عنّي سـوَيْـد بن صـامِتٍ ورهطَ سـويـدٍ بَلّغـا وابنَ الاسْلتِ
بـأنّـا قتلنـا بـالـربيـع سَـراتَكم وأفلتَ مجـروحـاً بـه كـلّ مفلتِ

---

(١) في الأصل «قسحم».
(٢) في النسخة (ت): «حضين».
(٣) في الأصل «حصين».

فلولا[1] حقوقٌ[2] في العشيرة إنّها ... أدلّت بحقٍّ واجب إن أدلّتِ
لنالَهُمُ منّا كما كان نالَهُمْ ... مقانبُ خيلٍ أهلكت حين حلّتِ

فأجابه سُوَيْد بن الصامت:

ألا أبلغا عنّي صُخَيْراً رسالةً ... فقد ذقْتَ حربَ الأوس فيها ابنَ الاسْلت
قتلنا سرايـاكم بقتلَى سَراتِنا ... وليس الذي ينجو إليكم بمفلت

ومنها:

يوم البقيع

ثمّ التقت الأوس والخزرج ببَقيع الغَرْقَد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكان الظفر يومئذ للأوس؛ فقال عُبَيْد بن ناقد الأوسيّ:

لمّا رِأيتُ بني عَوْفٍ[3] وجمعَهمُ ... جاءوا وجمعَ بني النجّار قد حَفَلوا[4]
دعوتُ قومي وسهّلت الطريقَ لهم ... إلى المكان الذي أصحابه حَللوا
جادت بأنفسها من مالك عُصَبٌ[5] ... يوم اللقاء فما خافوا ولا فشلوا
وعَاوَرُوكم كؤوسَ الموت إذا برزوا ... شطرَ النهار وحتّى أدبر الأُصُلُ
حتى استقاموا وقد طال المراسُ بهم ... فكلّهم من دماء القوم قد نهلوا
تكشّف البِيضُ عن قتلى أُولي رَحِمٍ ... لولا المسالم والأرحامُ ما نقلوا
تقول كلّ فَتاةٍ غاب قَيّمُها: ... أكلّ مَنْ خلفنا مِن قومنا قُتلوا
لقد قتلتم كريماً ذا محافظة ... قد كان حالفه القيناتُ والحللُ
جَزْلٌ نوافلُه حُلْوٌ شَمائلُهُ ... ريّانُ واغله تَشْقَى به الإبلُ

الواغل: الذي يدخل على القوم وهم يشربون.

فأجابه عبد الله بن رَوَاحة الحارثيّ الخزرجيّ:

لمّا رأيتُ بني عوفٍ وإخوتهم ... كعباً وجمعَ بني النجّار قد حفلوا[6]

(١) في الطبعة الأوربية «فهذي». وفي النسخة (ت): فهلا، وفي النسخة (ي) «فهذه».
(٢) في النسخة (ر): «حفوف».
(٣) في الأصل «أوف».
(٤) في الطبعة الأوربية «خلفوا».
(٥) في النسخة (ر): «غضب».
(٦) في الطبعة الأوربية «خلفوا».

قِدماً أباحوا حِماكم[1] بالسيوف ولم يفعلْ بكم أحدٌ مثل الذي فعلوا

وكان رئيس الأوس يومئذ في حرب حاطب أبو قيس بن الأسلت الوائليّ، فقام في حربهم وهجر الراحةَ، فشحب وتغيّر. وجاء يوماً إلى امرأته فأنكرته حتّى عرفته بكلامه، فقالت له: لقد أنكرتُك حتّى تكلّمتَ! فقال:

قالت ولم[2] تقصد لِقِيلِ الخَنَا: مهلاً فقد أبلغتَ أسماعي
واستنكرتْ لوناً له شاحباً والحربُ غولٌ ذاتُ أوْجاعِ
من يَذُقِ الحربَ يَجِدْ طعمَها مُرّاً وتَتْرُكْهُ بجَعْجاعِ
قد حصّتِ[3] البَيضةُ رأسي فما أطعَمُ نوماً غيرَ تَهْجَاعِ
أسْعَى على جُلِّ بني مالكٍ كلُّ امرىءٍ في شأنه ساعي
أعددتُ للأعداء موضونةً فَضْفاضةً كالنِّهْي بالقاعِ
أحْفِزُهَا عنّي بذي رونقٍ مهنّدٍ كاللمعِ قطّاعِ
صدقٍ حُسامٍ وادقٍ حدُّهُ ومُنْحَنٍ[4] أسمرَ قرّاعِ

وهي طويلة. ثمّ إنّ أبا قيس بن الأسلت جمع الأوسَ وقال لهم: ما كنتُ رئيس قوم قطّ إلّا هُزموا، فرئّسوا عليكم مَنْ أحببتم؛ فرأسوا عليهم حُضَيْر الكتائب بنَ السماك الأشهليّ، وهو والد أُسَيْد بن حُضَيْر. لولده صُحْبَةٌ، وهو بدريّ، فصار حُضَير يلي أمورهم في حروبهم. فالتقى الأوسُ والخزرجُ بمكان يقال له الغَرْس[5]، فكان الظفر للأوس، ثمّ تراسلوا في الصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى، فمن كان عليه الفضل أعطى الدية، فأفضلت الأوسُ على الخزرج ثلاثة نفر، فدفعت الخزرجُ ثلاثة غلمة منهم رهناً بالديات، فغدرت الأوسُ فقتلت الغلمانَ.

يوم الفِجار الأوّل للأنصار

وليس بفجار كِنانة وقيس.

فلمّا قتلت الأوسُ الغلمانَ جمعت الخزرجُ وحشدوا والتقوا بالحدائق؛ وعلى الخزرج عبد الله بن أُبيّ بن سلول، وعلى الأوس أبو قيس بن الأسلت، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى كاد بعضهم يُفْني بعضاً. وسمّي ذلك اليوم يوم الفِجار، لغدرهم بالغلمان،

(١) في الطبعة الأوربية «قوماً أباحوا حماهم».
(٢) في النسختين (ت) و(ب): «ولقد».
(٣) في الطبعة الأوربية «خضّب». وحصّت: حلقت.
(٤) في النسختين (ت) و(ر): «مجنا»، وفي النسخة (ب): «مخنا».
(٥) الغرس: بئر بالمدينة، وهي بقُباء. (معجم البلدان ١٩٣/٤).

وهو الفجار الأوّل، فكان قيس بن الخطيم في حائط له، فانصرف فوافق قومه برزوا للقتال، فعجز عن أخذ سلاحه إلاّ السيف، ثمّ خرج معهم، فعظُم مقامه يومئذ، وأبلى بلاء حسناً، وجُرح جراحة شديدة، فمكث حيناً يتداوى منها، وأُمِر أن يحتمي عن الماء، فلذلك يقول عبد الله بن رواحة:

رميناك أيّام الفِجار فلم تزلْ حميّاً فمن يشربْ فلستَ بشارب

يوم مُعَبّس ومُضَرِّس

ثمّ التقوا عند مُعَبّس ومُضَرِّس، وهما جداران، فكانت الخزرج وراء مضرِّس، وكانت الأوس وراء معبّس، فأقاموا أيّاماً يقتتلون قتالاً شديداً، ثمّ انهزمت الأوس حتّى دخلت البيوت والآطام، وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها. ثمّ إنّ بني عمرو بن عوف، وبني أوس مَناة من الأوس وادعوا الخزرج، فامتنع من الموادعة بنو عبد الأشهل، وبنو ظَفَر، وغيرهم من الأوس وقالوا: لا نصالح حتّى ندرك ثأرنا من الخزرج. فألحّت الخزرج عليهم بالأذى والغارة حين وادعهم بنو عمرو بن عوف وأوس مَناة، فعزمت الأوس إلاّ مَنْ ذكرنا على الانتقال من المدينة، فأغارت بنو سَلمة على مال لبني عبد الأشهل يقال له الرَّعل، فقاتلوهم عليه، فجُرح سعد بن مُعاذ الأشهليّ، جراحة شديدة، واحتمله بنو سَلَمة إلى عمرو بن الجَمُوح الخزرجي، فأجاره، وأجار الرَّعل من الحريق وقَطْعِ الأشجار، فلمّا كان يوم بُعاث جازاه سعد على ما نذكره إن شاء الله.

ثمّ سارت الأوس إلى مكّة لتحالف قريشاً على الخزرج، وأظهروا أنّهم يريدون العُمْرة. وكانت عادتهم أنّه إذا أراد أحدهم العُمْرة أو الحجّ لم يعرض إليه خصمه، ويعلّق المعتمر على بيته كرانيفَ النخل. ففعلوا ذلك وساروا إلى مكّة فقدِموها، وحالفوا قريشاً، وأبو جهل غائبٌ. فلمّا قدم أنكر ذلك وقال لقريش: أما سمعتم قول الأوّل: ويل للأهل من النازل! إنّهم لأهلُ عدد وجَلَد، ولقلّ مَا نَزَلَ قوم على قوم إلاّ أخرجوهم من بلدهم وغلبوهم عليه. قالوا: فما المخرج من حلفهم؟ قال: أنا أكفيكُمُوهم، ثمّ خرج حتّى جاء الأوسَ فقال: إنّكم حالفتم قومي وأنا غائب، فجئتُ لأحالفكم وأذكر لكم من أمرنا ما تكونون بعده على رأس أمركم. إنّا قوم تخرج إماؤنا إلى أسواقنا، ولا يزال الرجل منّا يدرك الأَمَة فيضرب عجيزتَها، فإنْ طابت أنفسكم أن تفعل نساؤكم مثل ما تفعل نساؤنا حالفناكم، وإنْ كرهتم ذلك فردّوا إلينا حلفنا. فقالوا: لا نقرّ بهذا. وكانت الأنصار بأسرها فيهم غيرة شديدة، فردّوا إليهم حلفهم وساروا إلى بلادهم؛ فقال حسّان بن ثابت يفتخر بما أصاب قومه من الأوس:

ألا أبلغْ أبا قيس رسولاً   إذا ألقَى لها سمعاً تُبينُ[1]
فلستُ لحاصنٍ[2] إن لم تَزُرْكم   خلالَ الدار مُسْبِلَةٌ[3] طحونُ
يدينُ لها العزيزُ إذا رآها   ويهربُ من مخافتِها القَطينُ
تشيبُ الناهدُ العذراءُ منها   ويسقطُ مِن مخافتِها الجَنينُ
يطوفُ بكم[4] من النجّار أُسْدٌ   كأُسدِ الغِيلِ مسكنُها العرينُ
يظلّ الليثُ فيها مستكيناً[5]   له في كلّ ملتفَت أنينُ
كأنّ بهاءها[6] للناظريها   من الأثَلاتِ[7] والبيض الفتينُ[8]
كأنّهُم من الماذي عليهم   جمالٌ حين يجتلدون جونُ
فقد لاقاك قبلَ بُعاثَ قتلٌ   وبعد بُعَاثَ ذلٌّ مستكينُ

وهي طويلة أيضاً.

يوم الفِجار الثاني للأنصار

كانت الأوس قد طلبت من قُرَيْظة والنّضير أن يحالفوهم على الخزرج، فبلغ ذلك الخزرج فأرسلوا إليهم يؤذِنونهم بالحرب، فقالت اليهود: إنّا لا نريد ذلك، فأخذت الخزرج رهنهم على الوفاء، وهم أربعون غلاماً من قُرَيْظة والنضير، ثمّ إنّ يزيد بن فُسْحُم[9] شرب يوماً فسكر، فتغنّى بشعر يذكر فيه ذلك:

هلُمَّ إلى الأحلاف إذْ رقّ عظمُهم   وإذ أصلحوا مالاً لجذمان ضائعا
إذا ما امرؤٌ منهم أساء عمارة   بعثنا عليهم من بني العير جادِعا
فأمّا الصريخ منهُم فتحمّلوا   وأمّا اليهودُ فاتخذنا بضائعا
أخذنا من الأولى اليهودَ عصابةً[10]   لغدرِهِم كانوا لدينا ودائعا[11]

---

(١) في الطبعة الأوربية إذا أُلقي له سمعٌ مبينُ.
(٢) في الطبعة الأوربية «بحاضر إن لم يزركم».
(٣) في الأصل، والنسخة (ر): «مستلية».
(٤) في الطبعة الأوربية «بها».
(٥) في النسخة (ب): «مستكنّ».
(٦) في النسخة (ر) «رداها»، وفي النسخة (ت): «رهأها»، وفي النسخة (ي) «رهانها».
(٧) في النسخة (ر): «البليان»، وفي النسخة (ب): «البليات». وفي الطبعة الأوربية «الثلثات».
(٨) في الطبعة الأوربية «القنين».
(٩) في النسخة (ت): «قسحم» وفي (ب): «قشخم».
(١٠) في النسخة (ر): «عصابيا».
(١١) في النسخة (ر): «ورائعا».

فـذلّـوا لـرهنٍ عنـدنـا في جِبالنـا مصـانعـة يخشـون منّـا القـوارعـا[1]
وذاك بـأنّـا حين نـلقى عـدوّنـا نصـول بضربٍ يتـرك العزّ خـاشِعـا

فبلغ قولُه قريظةَ والنَّضيرَ فغضبوا. وقال كعب بن أسد: نحن كما قال: إن لم نُغِـرْ فخالف الأوس على الخزرج. فلمّا سمعت الخزرج بذلك قتلوا كلّ من عندهم من الرهن من أولاد قُـريظة والنَضِيـر، فأطلقـوا نفراً، منهم: سُلَيْم بـن أسـد القُرَظيّ جـدّ محمّـد بن كعب بن سُلَيْم. واجتمعت الأوسُ وقُـرَيظة والنضيـر على حـرب الخـزرج، فـاقتتلوا قتـالاً شديداً، وسُمّي ذلك الفِجار الثاني لقتل الغلمان من اليهود.

وقد قيل في قتْل الغلمان غير هذا، وهو: إنّ عمرو بن النعمـان البياضيّ الخـزرجيّ قال لقومه بني بياضة: إنّ أباكم أنزلكم منزلـة سوء، والله لا يمسّ رأسي مـاء حتّى أُنزلكم منازل قُريظة والنَضِير، أو أقتل رهنهم! وكانت منازل قُرَيْـظة والنَّضِير خيـر البقاع، فـأرسل إلى قُـرَيظة والنَّضيـر: إمّا أن تُخلّوا بيننـا وبين دياركم، وإمّـا أن نقتل الـرهن. فهمّوا بـأن يخرجوا من ديارهم، فقال لهم كعب بن أسد القرظيّ: يا قوم امنعـوا دياركم وخلّوه يقتـل الغلمان، ما هي إلّا ليلةٌ يصيب فيهـا أحدكم امـرأة حتّى يولـد له مثلُ أحدهم. فـأرسلوا إليهم: إنّا لا ننتقل عن ديارنا، فـانظروا في رهننـا فعوا لنـا. فعَدا عمـرو بن النعمان على رهنهم فقتلهم، وخالفه عبد الله بن أُبيّ بن سَلول فقال: هـذا بغي وإثم، (ونهاه عن قتلهم وقتـال قومـه من الأوس وقال لـه: كأني بـك وقـد حُملتَ قتيـلاً في عبـاءة يحملك أربعـة رجال)[2]. فلم يقتل هو ومن أطاعـه أحداً من الغلمـان وأطلقوهم؛ ومنهم: سليم بن أسـد جدّ محمّد بن كعب.

وحالفت حينئذ قُريظة والنَّضير الأوسَ على الخزرج، وجرى بينهم قتال سمّي ذلـك اليوم يوم الفِجار الثاني.

وهذا القول أشبه بأن يسمّى اليوم فِجاراً، وأمّا على القول الأوّل، فإنّما قتلوا الـرهن جزاء للغدر من اليهود، فليس بفِجار من الخزرج، إلّا أن يُسمّى فجاراً لغدر اليهود.

يوم بُعَاث[3]

ثمّ إنّ قُريظة والنَّضِير جدّدوا العهودَ مع الأوس على المـوازرة والتناصـر، واستحكم أمرُهم وجدّوا في حربهم، ودخل معهم قبائل من اليهود غير مَنْ ذكرنا. فلمّا سمعت بذلك

(١) في النسخة (ر): «مصافقة. . . التقارع».
(٢) ما بين القوسين من النسخة (ر).
(٣) بُعاث؛ بضم الباء. موضع في نـواحي المـدينـة. وحكـاه صـاحب العين بـالغين المعجمـة (معجم البلدان ١/٤٥١).

الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حُلفاءها من أشْجع وجُهَيْنة، وراسلت الأوسُ حُلفاءها من مُزَيْنة، ومكثوا أربعين يوماً يتجهّزون للحرب، والتقوا ببُعاث، وهي من أعمال قُريظة، وعلى الأوس حضير الكتائب بن سِماك والد أُسَيْد بن حُضَيْر، وعلى الخزرج عمرو بن النُعمان البياضيّ[1]، وتخلّف عبد الله بن أُبيّ بن سَلول فيمن تبعه عن الخزرج، وتخلّف بنو حارثة بن الحارث عن الأوس. فلمّا التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً وصبروا جميعاً.

ثمّ إنّ الأوس وجدت مسّ السلاح فولّوا منهزمين نحو العُرَيْض[2]. فلمّا رأى حُضَيْر هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح: واعَقْرَاه كعقر الجمل! والله لا أعود حتّى أُقْتَل، فإن شئْتم يا معشر الأوس أن تُسْلِموني فافعلوا. فعطفوا عليه، وقاتل عنه غلامان من بني عبد الأشهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتّى قُتلا، وأقبل سهم لا يُدْرَى مَنْ رمى به فأصاب عمرو بن النعمان البياضيّ رئيس الخزرج فقتله، (فبينا عبد الله بن أُبيّ بن سَلول يتردّد راكباً قريباً من بُعاث يتجسّس الأخبار إذ طُلع عليه بعمرو بن النعمان قتيلاً في عباءة يحمله أربعة رجال، كما كان قال له. فلمّا رآه قال: ذُقْ وبال البغي)[3]! وانهزمت الخزرج، ووضعت فيهم الأوسُ السلاحَ، فصاح صائحٌ: يا معشر الأوس أحسِنوا ولا تُهلكوا إخوانكم، فجوارهم خير من جوار الثعالب! فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم. وإنّما سلبهم قُريظة والنَّضِير، وحملت الأوس حُضَيراً مجروحاً فمات. وأحرقت الأوسُ دُورَ الخزرج ونخيلهم، فأجار سعد بن مُعاذ الأشهليّ أموالَ بني سَلمة ونخيلهم ودُورهم، جزاءً بما فعلوا له في الرَّعل، وقد تقدّم ذِكره، ونجّى يومئذٍ الزُّبَيْرُ بن إياس بن باطا ثابتَ بن قيس بن شَمّاس الخزرجيّ، أخذه فجزّ ناصيته وأطلقه، وهي اليد التي جازاه بها ثابت في الإسلام يوم بني القُريظة، وسنذكره.

وكان يوم بُعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج، ثمّ جاء الإسلام واتّفقت الكلمةُ، واجتمعوا على نصر الإسلام وأهله، وكفى الله المؤمنين القتال.

وأكثرت الأنصارُ الأشعارَ في يوم بُعاث، فمن ذلك قول قيس بن الخَطيم الظَّفَريّ الأوسيّ:

أتعرف رسماً كالطِّراز المُذهبِ[4] لعَمْرَةَ رَكْباً[5] غير موقِف راكبِ

---

(١) الأغاني ٢٢/١٢٨.

(٢) العُرَيض: وادٍ بالمدينة. (معجم البلدان ٤/١١٤).

(٣) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٤) في الأغاني ٣/٧ «كاطّراد المذاهب». وفي الطبعة الأوربية «كالطّراد المذاهب».

(٥) في الأغاني «وحشاً»، وفي النسختين (ر) و(ت) «ربع» وفي النسخة (ب): «ركب».

ديـار التي كـانت ونحن على مِنىً ... تحـلّ بنا لـولا رجاءُ الـركـائبِ
تبدّت لنا كـالشمس تحت غَمـامـةٍ ... بـدا حاجبٌ منهـا وضنّت بحـاجبِ

ومنها:

وكنتُ امرأً لا أبعثُ الحربَ ظـالماً ... فلمّـا أبوا شَعَّلْتُهـا كـلّ جـانبِ
أذنتُ بـدفعِ الحـربِ حَرباً رأيتُهـا ... عن الـدفـع لا تَـزدادُ غيـرَ تقـاربِ
فلمـا رأيت الحربَ حـربـاً تجـرّدت ... لبسـةُ مع البُرْدَين ثـوبَ المحـاربِ
مضعّفـة يَغْشَى الأنـامـلَ رَيْعُهـا ... كـأنّ قَتيـريهـا[1] عيـونُ الجَنَـادِبِ[2]
تَـرَى قِصَدَ المُـرّان تُلْقَى كـأنّهـا ... تَـذَرُّعُ خِرْصَـانٍ بـأيـدي الشـواطِبِ
وسـامحني مِلْكـاهَنين[3] ومـالـك ... وثَعْلبـة الأخيـار رهط القبـاقبِ[4]
رجالٌ متى يُدعَوْا إلى الحرب يُسرعوا ... كَمَشْيِ الجمالِ المُشْعلات[5] المصاعبِ
إذا مـا فـررْنـا كـان أسْـوَا فـرارنـا ... صـدودُ الخـدودِ وازورارُ المنـاكبِ
صـدود الخـدود والقنـا متشـاجـر ... ولا تَبْـرَحُ الأقـدامُ عنـد التضاربِ
ظَـأرْنـاكم بـالبِيض حتّى لأنْتُمُ ... أذلُّ من السُّقْبـان بين الحـلائبِ
يُجـرَّدْن بِيضاً كـلَّ يـومِ كـريهـةٍ ... ويُرْجَعْن حُمْراً جارحات المضـاربِ
لقيتكمُ يـومَ الحـدائق حـاسـراً ... كـأنّ يدي بـالسيف مخراقُ لاعبِ[6]
ويـوم بُعـاثٍ أسلمَتْنـا سيـوفُنـا ... إلى حَسَبٍ في جِذْمِ غسّانَ ثـاقبِ
قـتلنـاكُـم يـومَ الـفِجـار وقبـلَه ... ويـومُ بُعـاثٍ كـان يـوم التغـالبِ
أتت عُصَبٌ لـلأوْس[7] تخطُرُ بـالقنا ... كمشْيِ الأسُود في رَشَاش الأهاضبِ[8]

فأجابه عبد الله بن رَواحة:

أشـاقتْكَ[9] ليلى في الخليط المجـانب ... نَعَم، فرشاش الدمعِ في الصدر غالب

---

(١) في النسخة (ب): «قسيبتها».
(٢) في النسخة (ب): «الجنايب».
(٣) في جمهرة أشعار العرب: «وسامح فيها الكاهنان».
(٤) في النسختين (ر) و(ت): «العتاقب»، وفي الطبعة الأوربية «المصائب».
(٥) في النسخة (ر): «المصعبات».
(٦) في النسخة (ر): «محنا ولاعب». والبيت في الأغاني ٣/٧.
أجـالـدُهُـم يـوم الـحـديـقـة حـاسـراً ... كـأن يـدي بـالـسيف مِخْـراقُ لاعبِ
(٧) في النسختين (ت) و(ب): «مثل أوس». وفي النسخة (ر): «مل ارض».
(٨) أنظر ديوان قيس بن الخطيم ٤١ و٢٠٣.
(٩) في النسخة (ت): «اسلبا قتل». وفي النسخة (ب): «لليلى».

بكى إثْـرَ مَن شـطّت نـواهُ ولم يـقمْ لحـاجـةِ مخـزونٍ شكـا الحبَّ نـاصب
لـدن غدوةً حتى إذا الشمسُ عـارضت أراحتْ[1] لـه من لبّـه كـلّ عـازبِ
نُحـامي عـلى أحسـابنـا بتـلادِنـا لـمفـتقـر أو سـائـلِ الـحقّ واجـبِ
وأعمى هـدتْـه لـلسبيـل سيـوفُنـا وخصمٍ أقمنـا بعـدمـا ثَـجّ[2] ثـاعِب[3]
ومعتَـرَكٍ ضَنَـكٍ يُـرى المـوتُ وسـطه مشَيْنـا لـه مشْيَ الجمـال المصاعبِ
بـرَجْـلٍ تـرى المـاذِيَّ فـوق جلودهم وبَيْضـاً نَقيّـاً مثـل لـون الكـواكِـبِ
وهم حُسَّـرٌ لا في الـدروع تخـالُهُمْ أُسُـوداً متى تُنْشـا الـرمـاح تضـاربِ
مـعـاقلهـم في كـلّ يـومِ كـريـهـةٍ مع الصدق منسوب السيوف القـواضبِ

وهي طويلة.

ولَيْلى التي شبّب بها ابنُ روَاحة هي أخت قيس بن الخَطيم.

وعَمْـرَةُ التي شبّب بهـا ابن الخـطيم هي أخـت عبـد الله بـن رواحـة، وهي أمّ النعمان بن بَشير الأنصاريّ.

(بُعاث بضمّ الباء الموحّدة، وبالعين المهملة، وقال صاحب كتاب العين وحده: وهو بالغين المعجمة).

ذكر غَلَبَة ثقيف على الطائف والحرب بين الأحلاف وبني مالك[4]

كانت أرض الطائف قديماً لعدوان بن عمرو بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر. فلمّا كثُر بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصْفَة بن قيس بن عَيْلان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد.

وكان بنو عامر يصيّفون بالطائف، ويشتّون بأرضهم من نجد، وكانت مساكن ثقيف حول الطائف.

وقد اختلف الناسُ فيهم، فمنهم مَنْ جعلهم من إياد، فقال: ثقيف اسمه قسيّ بن نبت بن منبّه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دُعمي بن إياد من معدّ، ومنهم مَنْ جعلهم

---

(١) في النسختين (ر) و(ت): «وراح».
(٢) في النسخة (ر): «نايح».
(٣) في الطبعة الأوربية «نجّ شاغب».
(٤) ورد العنوان فقط في النسخة (ر).

من هوازن فقال: هو قيس بن منبّه بن بكـر بن هوازن بن منصـور بن عِكْرِمـة بن خَصْفة بن قيس بن عَيْلان.

فـرأت ثقيف البلاد، فـأعجبهم نباتهـا وطِيب ثمرهـا، فقالـوا لبني عـامـر: إنّ هـذه الأرض لا تصلح للزرع، وإنّمـا هي أرض ضرع[1]، ونـراكم على أن آثرتم المـاشية على الغراس، ونحن أُناس ليست لنا مواش، فهل لكم أن تجمعوا الزرع والضرع بغيـر مؤونة؟ تدفعون إلينا بلادكم هـذه فنثيرهـا ونغرسهـا ونحفر فيهـا الأطواء ولا نكلّفكم مؤونـة. نحن نكفيكم المؤونةوالعمل، فإذا كان وقت إدراك الثمر كان لكم النصف كاملاً، ولنـا النصف بما عملنا.

فرغب بنو عـامر في ذلـك، وسلّموا إليهم الأرض، فنـزلت ثقيف الطائف واقتسمـوا البلاد وعملوا الأرض وزرعوها من الأعناب والثمار، ووفوا بما شرطـوا لبني عامـر حيناً من الدهر، وكان بنو عامر يمنعون ثقيفاً ممّن أرادهم من العرب.

فلمّـا كثُرت ثقيف وشـرُفت حصّنت بلادهـا وبنـوا أسـواراً على الـطائف وحصّنـوه، ومنعوا عامراً ممّا كانوا يحملونـه إليهم عن نصف الثمار. وأراد بنـو عامـر أخْذه منهم، فلم يقدروا عليه، فقاتلوهم فلم يظفـروا، وكانت ثقيف بـطنين: الأحلاف وبني مـالك، وكـان للأحلاف في هذا أثر عظيم، ولم تزل تعتدّ بذلك على بني مالك، فأقاموا كذلك.

ثمّ إنّ الأحـلاف أثْـروا وكثـرت خيلهم، فحمـوا لهـا حمىً من أرض بني نصـر بن معـاوية بن بكـر بن هوازن يقـال له جِلْذان، فغضب من ذلـك بنو نصـر وقـاتلوهم عليـه، ولجّت الحـربُ بينهم. وكـان رأس بني نصـر عُفَيْف بن عـوف بـن عُبـاد النصـريّ ثمّ اليربوعيّ، ورأس الأحلاف مسعود بن قعنب. فلمّا لجّت الحربُ بين بني نصـر والأحلاف اغتنم ذلك بنو مالك ورئيسهم جُنْدب بـن عوف بن الحارث بن مالـك بن حُطَيْط بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم وبين الأحلاف، فحالفوا بني يربوع على الأحلاف.

فلمّا سمعت الأحلاف بذلك اجتمعوا. وكان أوّل قتـال كان بين الأحـلاف وبين بني مـالك وحلفـائهم من بني نصر يـوم الطائف، واقتتلوا قتـالاً شـديـداً، فـانتصـر الأحـلاف وأخرجوهم منه إلى وادٍ من وراء الطائف يقال له لحب، وقُتل من بني مالـك وبني يربـوع مقتلة عظيمة في شِعب من شعاب ذلك الجبل يقال له الأبان[2]. ثمّ اقتتلوا بعـد ذلك أيّـاماً

---

(١) في الأصل «زرع».

(٢) أبان: بفتح أوله وتخفيف ثانيه. أبان الأبيض، وأبان الأسود. فـأبان الأبيض شـرقيّ الحاجـر، فيه نخـل وماء يقال له أُكرَة، وهو العلم لبني فزارة وعبْس. وأبان الأسود جبل لبني فزارة خاصة، وبينه وبين الأبيض ميلان. (معجم البلدان ١/٦٢).

مُسَمَّيَات، منهنّ يوم غَمْر ذي كِنْدة[1]، من نحو نخْلة، ومنهنّ يوم كرونا من نحو حُلوان، وصاح عُفَيْف بن عوف اليربوعي في ذلك اليوم صيحة يزعمون أنّ سبعين حُبلَى منهم ألقت ما في بطنها، فاقتتلوا أشدّ قتال ثمّ افترقوا. فسارت بنو مالك تبْتغي الحلف من دوس وخثعم وغيرهما على الأحلاف، وخرجت الأحلاف إلى المدينة تبتغي الحلف من الأنصار على بني مالك، فقدِم مسعود بن معتّب على أُحَيْحة بن الجُلاح أحد بني عمرو بن عوف من الأوس، وكان أشرف الأنصار في زمانه، فطلب منه الحلف، فقال له أُحَيْحة: والله ما خرج رجل من قومه إلى قوم قطّ بحِلْف أو غيره إلاّ أقرّ لأولئك القوم بشرّ مما أنف منه من قومه، فقال له مسعود: إنّي أخوك، وكان صديقاً له، فقال: أخوك الذي تركتَهُ وراءك فارجعْ إليه وصالحْهُ ولو بجدع أنفك وأذنك، فإنّ أحداً لن يبرّ لك في قومك إذ خالفته؛ فانصرف عنه وزوّده بسلاح وزاد، وأعطاه غلاماً كان يبني الآطام، يعني الحصون، بالمدينة، فبنى لمسعود بن معتّب أُطُماً، فكان أوّل أُطُمٍ بُني[2] بالطائف، ثمّ بُنيت الآطام بعده بالطائف. ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تُذكَر.

وقالوا في حربهم أشعاراً كثيرة، فمن ذلك قول محبّر، وهو ربيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عُقْدة من الأحلاف:

وما كنتُ ممّنْ أرّثَ الشّرّ بينهم ... ولَكنّ مسعوداً جَناها وجُنْدبا
قريعَيْ ثقيفٍ أنشبا الشرَّ بينهم ... فلم يَكُ عنها منزعٌ حين أنْشبا
عناقاً[1] ضروساً بين عَوْفٍ ومالكٍ ... شديداً لظَاها تَتْرُك[4] الطّفْلَ أشْيبا
مُضرّمةً[3] شبّاً أشبّا[5] وقودَها ... بأيديهما ما أوْرياها وأثقبا
أصابتْ بَراء من طوائف مالكٍ ... وعَوْفٍ بما جَرّا عليها وأجْلبا
كجُمْثُورةٍ جاؤوا تخطّوا مآبَنا[6] ... إليهم وتدعو في اللقاء مُعَتّبا
وتدعو بني عوف بْنِ عُقْدة في الوغى ... وتدعو عِلاجاً والحليفَ المُطيَّبا
حبيباً وحيّاً من رِباب كتائباً ... وسعداً إذا الداعي إلى الموت ثوّبا
وقوماً بمَكْرُوثاء شَنّتْ مُعتّبٌ ... بغارتها فكان يوماً عَصَبْصَبا

---

(١) غمر ذي كِنْدَة: موضع وراء وَجْرَة بينه وبين مكة مسيرة يومين. (معجم البلدان ٤/٢١١).
(٢) في الطبعة الأوربية وردت العبارة هكذا: «فبنى لبني معتّب بن مسعود وذهب عمر وأطّم، فقال سلمان أن أول من أطّم أُطُماً بني».
(٣) في الطبعة الأوربية «عفاقا».
(٤) في الطبعة الأوربية «مترك».
(٥) في الأصل «شبا».
(٦) في الطبعة الأوربية: «يحطر ما أتينا».

فـأسْـقط أحبـالَ الـنسـاء بِـصَـوْتـه   عُـفَـيْـفُ إذا نـادى بـنـصـرٍ فـطـرّبـا

(عُفَيْف هذا بضمّ العين وفتح الفاء).